yalova İSLÂM ARAŞTIRMALARI dergisi

Journal of Yalova Islamic Studies
ISSN: 2718-0646
Cilt/Volume: 1 | Sayı/Issue: 2 | Yıl/Year: 2021 (Haziran/June)

معتقدات العرب قبل الإسلام
دراسة تحليلية نقدية في ضوء بيان القرآن الكريم

Abdulnaser Sultan Sallam*

• Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi/ Research Article
• Geliş Tarihi/Date Received: 23.04.2021 • Kabul Tarihi/Date Accepted: 17.05.2021
• Yayın Tarihi/Date Published: 30.06.2021

الملخص

مثلت الروايات التاريخية حول معتقدات العرب قبل الإسلام بما فيها من تناقض واضطراب واقتضاب مادة خصبة لآراء بعض المستشرقين والباحثين اللادينيين العرب، في محاولتهم ربط الإسلام بديانة العرب. لذا اعتمدت هذه الدراسة على القرآن الكريم بسوره المكية كمصدر رئيسي لفهم معتقدات العرب قبل الإسلام والذي يمثل أصدق مصدر في تصوير حالة العرب في تلك الفترة. وتهدف هذه المقالة في بحثها حول معتقدات العرب قبل الإسلام فيما يخص الاعتقاد بالله والملائكة والأنبياء الكشف عن أصل هذه الديانة، وهو الأصل الذي يكشف العلاقة بين الإسلام وهذه الديانة في مواجهة شبهة أن الإسلام يمثل مرحلة متطورة للدين الذي كان شائعاً عند العرب قبل الإسلام. وتعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي والنقدي من خلال دراسة النص القرآني كمصدر وإطار لفهم المصادر التاريخية الأخرى لمعتقدات العرب قبل الإسلام، وذلك بالاعتماد على أوائل الآيات نزولاً خصوصاً وعلى التفسير الموضوعي للآيات المكية عموماً. وتكشف هذه الدراسة في ضوء البيان القرآني أن معتقدات مثل الاعتقاد بالله والملائكة والأنبياء قد استمدت أصولها من دين سماوي، ومن هنا يمكن إبطال شبهة تأثر الإسلام بها.

الكلمات المفتاحية: عرب قبل الإسلام، الوثنية، الشرك، معتقدات، الإسلام.

* Dr. Öğr. Üyesi, Yalova Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi, abdulnaser@yalova.edu.tr, ORCID ID: 0000-0003-2061-2082.

Arabs Beliefs Prior to Islam: An Analytic and Critical Study in Light of The Quranic Statement

Abstract

The historical narrations of Arab beliefs prior to Islam despite being conflicting, confused and brief as the grand historian are considered Fertile material to some Orientalists' and non-religious writers' opinions, for attempting to connect Islam to the religion of Arab. Therefore, this study relies on Quran in its Meccan chapters as main reference to comprehend Arab beliefs, which reflects the most genuine source to indicate the condition of Arabs in that period. Such study aims to seek Arabs' beliefs in Allah, Angles and prophets in particular, to find out the origin of it depending on their beliefs, that to get the fact of the relation between Islam and that religion clearly for confronting a misconception that Islam represents the advanced stage of religion which. This study is based on analytical and critical approach, using the Quranic text as reference and framework, to comprehend the other historical references of Arab beliefs to prior Islam, and that is from two aspects, first: study of the early Meccan chapters, which reflects the Quranic discourse to the polytheists, and what their verses imply for the Arabs faith. Second: the objective interpretation of Quran verses. This study hereby reveals through the Quranic statement that Arab beliefs -such as the belief in Allah almighty, angels, and prophets, has originated from heavenly religion, however they had deviated from it later, so, it was important for Islam to come and correct the deviation from the heavenly origin. Hence, it could be falsify a misconception that Islam is influenced by the religion preceding it, and revealing the course outlines of emergence of religion by revelation.

Keywords: Arab prior to Islam, polytheist, paganism, beliefs, Islam.

المقدمة

كثيراً ما يوصف عرب قبل الإسلام بالوثنيين، وهو الوصف الذي أطلقه علماء التاريخ والأديان لمن ارتبطت عبادتهم بالأوثان، ويردده البعض ازدراءً لدلالته على الوثن. لكن هناك دلالة أخرى يحملها لفظ "وثني" تعكس نظرية التطور في علم الأديان، والتي ترتبط بمفهوم الدين ونشأته، تلك النظرية التي تريد أن تؤكد تطور عقيدة الإنسان من الوثنية إلى التوحيد، وعليه فالإنسان هو خالق فكرة الإله بحسب زعم أصحاب هذه النظرية، وأنه لم يرث ديناً سماوياً قط، ومنه قد يُفهم أن الدين في أصله دين وضعي.

هذا ولم يصف القرآن عرب قبل الإسلام بالوثنيين، بل ورد وصفهم فيه بصفتين أحدهما: الشرك، وذلك حينما أشار القرآن إلى الأديان التي عرفها العرب واتصلوا بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج:17)، وثانيهما: الكفر، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الكافرون:1، 2). إن دلالتي الشرك والكفر تشيران بوضوح إلى نظرية التوحيد في تاريخ الأديان، أي تحول التوحيد إلى وثنية وليس العكس، فأصل الكفر هو التغطية على الشيء والستر له، فكأن الكافر مغطِّي على قلبه، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة:88). أما الصفة الثانية وهي الشرك، فهي تشير إلى أنهم كانوا يؤمنون بالله عز وجل

ويجعلون معه شركاء، يقول الله تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى.. ﴾ (الزمر: 3).

إن هذه المقالة تهدف إلى البحث في معتقدات العرب قبل الإسلام فيما يخص الاعتقاد بالله والملائكة والأنبياء، وأصل هذه المعتقدات من خلال البيان القرآني، كون القرآن الكريم يمثل أصدق صورة وأوثقها لهذه المعتقدات قبل الإسلام خصوصاً الفترة المكية التي عكست الآيات فيها صورة عما كان عليه العرب –الذين كانوا السواد الأعظم من سامعي القرآن– من اعتقاد، وكان عرض هذه الصورة إما بشكل صريح وذلك بذكر ما كانوا عليه، أو بشكل ضمني عن طريق تقرير العقيدة الصحيحة، أو تصحيح المعتقد، حيث كان هؤلاء موضوع تنديد، وتفنيد لتقاليدهم وعقائدهم. إن أهمية معرفة معتقدات العرب قبل الإسلام وأصلها من خلال مصدر موثوق، يكشف صلة الإسلام بديانة العرب ومن ثم مواجهة الشبهة التي أثارها المستشرقون وأصحاب الفكر النقد الديني في علاقة تأثر الإسلام بالوثنيات السابقة عليه، والتي دُعي فيها أن الإسلام يمثل مرحلة متطورة وناضجة للدين الذي كان شائعاً عند العرب وهو الوثنية.

وتعتمد هذه الدراسة على البيان القرآني كمصدر تاريخي لفهم معتقدات عرب قبل الإسلام بالله والملائكة والأنبياء تحديداً، والذي يمكن اعتباره الإطار التاريخي القرآني لتحديد ديانة العرب في تلك الفترة، وتوثيق المصادر التاريخية كالرويات الإخبارية وفهمها ومعالجة إشكالية التناقض في النصوص التي درات حول معتقدات العرب، حتى تبدو من خلال الإطار القرآني أكثر منهجية وتماسكاً، فلا تكون عرضة لانتقائية بعض الباحثين الذين امتلأت كتبهم للهجوم على الإسلام من خلال هذه المصادر. ويعتمد المنهج التاريخي القرآني على الآيات المكية الأولى بشكل خاص، حيث تعطي صورة دقيقة لما وعاه المستمعون من خلال الألفاظ القرآنية ودلالتها في تلك الفترة المبكرة للدعوة ومن خلال ترتيب أوائل السور نزولاً. ويأتي بعد ذلك دور "التفسير الموضوعي" للآيات المكية للوصول إلى صورة متكاملة لما كان عليه اعتقاد العرب، بعيداً عن التفسير الجزئي للآيات الذي اعتمد فيها على المأثور من الروايات على علاتها. وهكذا يمكن طرح ديانة العرب قبل الإسلام في إطارها التاريخي، لمعرفة أصولها الدينية، وعلاقتها بالإسلام.

وتنقسم هذه الدراسة لمقدمة، وقسمين، القسم الأول: أصل ديانة العرب قبل الإسلام. القسم الثاني: معتقدات العرب قبل الإسلام، وفيه ثلاثة أقسام فرعية: الاعتقاد بالله عند عرب قبل الإسلام، الاعتقاد بالملائكة عند عرب قبل الإسلام، الاعتقاد بالأنبياء عند عرب قبل الإسلام. وفي الأخير الخاتمة.

أصل ديانة العرب قبل الإسلام

إن عرب قبل الإسلام كانوا يرون أن ما هم عليه من اعتقاد يعود إلى ديانة تتصل بالله عز وجل، فقد ذكر القرآن حكاية عنهم أقوالهم الآتية ﴿.. وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا.. ﴾ (الأعراف:28)، ﴿ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.. ﴾ (سبأ:8)، ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ .. ﴾ (الأنعام:148)، ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (الزخرف:20)، يتبين من هذه الآيات أن عرب قبل الإسلام الذين وصفوا بالوثنيين كانوا يعتقدون بدين يتصل بالله عز وجل.

بل يظهر أن طبيعة هذه الديانة ترتبط بالوحي، فهم يعتقدون بنزول الرسالات من السماء، ومجيء الآيات والنُّذر من الله سبحانه، وذلك واضح في قولهم: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ (ص:9)، ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيم﴾ (الزخرف:3)، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَم﴾ (فاطر:42)، ﴿وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ (طه:133)، "ولقد ردت عليهم الآية (الأخيرة) متسائلة عما إذا لم يكفهم ما يرونه من تطابق وتوافق بين القرآن الذي يتلى عليهم وما في الكتب المنزلة الأولى من الله على رسله السابقين[1]". وهذا الرد ينطوي على كونهم لا ينكرون الله تعالى وعادته في إرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم من جهة، ولا يجهلون أن ما في أيدي أهل الكتاب هو من ذلك من جهة أخرى، وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيل﴾ (الشعراء: 197)، وهذا يعني أنهم كانوا يثقون في علم أهل الكتاب وعلماء بني إسرائيل، ومما يزيد الأمر تأكيداً تمني العرب لو جاءهم ما جاء الأمم السابقة من ذكر الله وكتبه لآمنوا وكانوا عبادًا مخلصين لله وحده، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ، لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ الأَوَّلِينَ، لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ المخْلَصِينَ، فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الصافات:168- 170).

وهناك إشارات قرآنية توحي بأن عرب قبل الإسلام ينتمون في الحقيقة إلى دين سماوي ما،[2] منها قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت:3)، فوصف سامعي القرآن بأنهم "يعلمون" ينطوي على صورة لما كان عليه المخاطبون العرب أو زعماؤهم على الأقل من الفهم والإدراك، لذا كان سؤال التعجب في الآية: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ، أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (المؤمنون:68، 69).

[1] دروزة محمد عزة، التفسير الحديث، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1421هـ)، ج 3، ص 220.

[2] سيأتي ذكر هذه الآيات لاحقاً.

إن القول أن العرب لم تأتهم رسالة من قبل استدلالاً بقوله تعالى: ﴿.. لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة:3)، يفسره البغوي في روايته عن ابن عباس أنها تعني الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام،[3] ويرى الطبري أن لفظ "قوم" في الآية تعني قوم قريش الذين لم يأتهم رسول قبل محمد ﷺ،[4] وهذا القول أكثر وجاهة، حيث إن تاريخ قريش لا يرتقي إلى أكثر من بضع مائة إلى حين نزول القرآن.

ويمكن القول بعد ذلك أن الدين الذي كان عليه عرب قبل الإسلام يعود في أصله لإبراهيم عليه السلام، وهو دين "الحنفية"، يقول أبو عبيدة: "من كان على دين إبراهيم فهو حنيف عند العرب، وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم ...[5]". وقد ذُكر أن أحد الأحناف (وهو وصف أطلقه الإخباريون على من ظلوا متمسكين بالحنفية) قال لقريش: "يا معشر قريش، والذي نفسي بيده، ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري..[6]"، وقد ورد في السيرة النبوية أن قريش اجتمعوا يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عنده، فانتحى جانبا أربعة منهم، وهم ورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث، وعبيد الله بن جحش، وزيد بن عمرو بن نفيل ثم قالوا: تعلموا والله ما قومكم على شيء، لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم .. يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم[7].

وتأتي الآيات القرآنية لتؤكد أن ملة إبراهيم عليه السلام التي يتبعها الرسول محمد ﷺ تختلف عما عليه هؤلاء العرب الذين غيّروا وحرّفوا وبدّلوا، فأشركوا بالله، يقول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ (67)، ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: 95)، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 161)، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: 120).

ويتضح من هذا أن الوحدانية التي كانت موجودة فيما قبل الإسلام، وظهرت في الشعر أو في المرويات التاريخية للحنفاء هي امتداد ديانة إبراهيم عليه السلام، حيث نصّ القرآن الكريم على أن الحنفاء

---

[3] ينظر: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تحقيق خالد العك، مروان سوار، (بيروت، دار المعرفة، ط 2، 1407هـ، 1987م)، ج 3، ص 497.

[4] ينظر: الطبري محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، 1405هـ)، ج 21، ص 89.

[5] لسان العرب، ابن منظور، (دار المعارف)، ج 2، ص 1026.

[6] ابن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1407 هـ- 1986م)، ج 2، ص 245.

[7] ابن هشام أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، (دار ابن كثير)، ج 1، ص 140.

لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وأنهم ينتمون في عقيدتهم الدينية إلى إبراهيم عليه السلام، وعليه لم تكن الوحدانية اتجاه أو حركة ناشئة كما يحلو للمستشرقين وبعض الباحثين العرب وصفها كإرهاص للدعوة الإسلامية أو الخلفية التي قامت عليها الدعوة، وهذا أيضاً يبطل القول: "إن الديانتين الساميتين التوحيديتين بانتشارهما في القبائل العربية كانتا من أوائل العوامل التي دفعت إلى تفسيخ الوثنية العربية لصالح عقيدة التوحيد وإلى إقناع العرب وخاصة عقلائهم وحكمائهم بسخف الإيمان بالتعددية الإلهية[8]".

لقد أخذ العرب بتعدد الأوثان، وقد أبقاهم على ما هم عليه ميل العامة لتجسيد الغيبيات من خلال الوسائط والرموز، فلم يكن الاعتقاد بتعدد الآلهة عند العرب خالياً من المضمون الفكري بل كان تفسيراً منحرفاً أو رؤية فلسفية لدين ورثوه عن آبائهم.[9]وليس هذا التعدد كما ذهب إليه موسكاتي "نتيجة لحالة تشتت كانت تعيش فيها القبائل ولميلها الغالب إلى التفرق[10]"، حيث إن التعدد وجد في كل الأمم القديمة البدائية منها والمتحضرة مثل الإمبراطوريات الكبيرة والممالك.

الاعتقاد بالله عند عرب قبل الإسلام

إن من المهم عند الحديث عن اعتقاد العرب بالله محاولة التوصل إلى الصورة التي رسمها القرآن لله عز وجل من خلال أوائل الآيات القرآنية في مكة، والتركيز على موضع لفظ الله عز وجل وأول صفاته الواردة في أوائل الآيات، وذلك من خلال مضمون السورة والمرجحات القوية من الأحاديث النبوية، حيث يمكن الخروج بالصورة والملامح الأساسية له سبحانه التي قدمها القرآن والتي كانت تتضمن ما هو مدرك لدى العرب، عن طريق التذكير أو التصحيح، يؤكد مونتجمري وات أهمية ذلك بقوله: "تعطي الآيات الأولى انطباعا بأنها موجهة لقوم يؤمنون بالله، وأن كان هذا الإيمان يشوبه الكثير من الإبهام والارتباك[11]".

إن الاعتماد على ترتيب نزول السور كما وردت عند رواة المسلمين تفضي إلى نتيجة غير منطقية، فالملاحظ في أغلب روايات المسلمين[12] في الترتيب بدء ظهور لفظ الجلالة الله في السورة

---

[8] خليل عبد الكريم، قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية، (القاهرة: دارسينا للنشر)، ص106.

[9] سيتم ذكر عقيدة تجسد الغيبي عند العرب لاحقاً.

[10] موسكاتي سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب 1997م)، ص 176.

[11] و. مونتجمري وات، محمد في مكة، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، حسين عيسى، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 2002م)، ص 83.

[12] هناك ثلاثة روايات عند السيوطي، ينظر: السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، (دار التراث) ص25 إلى 27، ورواية عند الزنجاني، ينظر: الزنجاني، تاريخ القرآن، (الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع) ص56، 57، رواية عند ابن نديم، ينظر: ابن النديم، الفهرست، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ط 1، 1416هـ 1996م) ص 40.

السادسة، في آية سورة التكوير: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ (التكوير: 29)، والجدير بالذكر أن جميع ما ذكر في ترتيب السور إما روايات فيها ضعف أو غير متفق عليها[13].

ولقد افتقرت محاولات الغربيين في ترتيب السور إلى المصادر التاريخية،[14] حيث قامت على اجتهادات ومعايير تعرضت للنقد من قبل بعضهم البعض، فعلى سبيل المثال أن ذكر لفظ "الله" عز وجل كان يرد في منتصف العهد المكي الأول، ثم تحوّل بعد ذلك إلى لفظ "الرحمن"[15]، في مقابل ذلك هناك من حاول أن يثبت أن لفظ "الله" عز وجل لم يرد على لسان النبي ﷺ في أول نبوته، وأن الترتيب الزمني لسور القرآن يدل على أن كان يعبر عنه بالرحمن في أول الأمر،![16] وزعم آخر "أن أوائل ما نزل من القرآن ليس فيه إشارة إلى توحيد الله سبحانه[17]".

صحيح أنه لا يمكن وضع قائمة دقيقة لترتيب السور حسب النزول، ولكن في ظل المرجحات القوية من الأحاديث الصحيحة التي تؤكد أولية ترتيب النزول، والمعلومات المتوفرة والمبادئ العامة والإشارات يمكن إيضاح جوانب منها، ومنها معرفة ماهية اعتقاد عرب قبل الإسلام بالله عز وجل.

تضع جميع ترتيبات السور المروية سورة العلق أولى السور ترتيباً. والمتبادر أن ذلك بسبب كون الآيات الخمس الأولى منها هي أولى آيات القرآن نزولاً على ما عليه الجمهور. وقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في قصة الغار[18] ما يدل على كونها أولى الآيات القرآنية نزولاً، كما أن مضمونها يلهم ترجيح هذه الأولية.

إن أول آية في القرآن، توجيه للمستمع أنها رسالة من الرب الذي عرف بصفة الخلق، وهو الله عند العرب كما أوضحت عدة آيات قرآنية أن العرب يعترفون أن لا خالق إلا الله عز وجل، ولقد أورد الرواة صفة الخلق لله عز وجل عند العرب قبل الإسلام في أيمانهم ودعائهم ورسائلهم وأدبهم وحفلت كتب التاريخ بهذه الأقوال والعبارات،[19] ومن خلال دراسة أشعار عرب قبل الإسلام يقول أحد الباحثين: "ومما

---

[13] محمد محمد عبد الله إسماعيل، موقف القرآن من المشركين، (رسالة ماجستير قسم الشريعة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1957م)، ص 85

[14] ينظر: عبد الرحمن بدوي، الدفاع عن القرآن، (الدار العالمية للكتب والنشر، 1999م)، ص 127.

[15] ينظر: السابق.

[16] ينظر: رينيه ديسو، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1959م)، ص 133.

[17] مونتجمري، محمد في مكة، ص139.

[18] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، (موسوعة الحديث الشريف)، ص1.

[19] جرجس داود، أديان العرب قبل الإسلام، (بيروت لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 2، 1408هـ، 1988م)، ص168.

[19] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، (موسوعة الحديث الشريف)، ص1.

ص 191.

هو جدير بالملاحظة والاهتمام أن المشركين أنفسهم، على الرغم من اعتقادهم المتين في مقدرة الأوثان، لم يرد عن أحد منهم أنه عزا الخلق إلى صنم أو إلى الأصنام مجتمعة بل إنهم كانوا يقرون بأن الله هو الذي أنشأ الكون، وخلق الناس[20]". أما قوله سبحانه ﴿...وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ (العلق:3) "قال ابن عطية .. وربك الأكرم على جهة التأنيس كأنه يقول امضِ لما أمرت به وربك ليس كهذه الأرباب بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص[21]".

ومن المرجح أن تأتي سورة الفاتحة تالية لهذا المطلع فيمكن القول أنها ترتبط باستهلالها، فأُلحق طلب القراءة باسم ربك باسمه عز وجل "الله" في قوله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:1) -كونها آية في السبع المثاني عند الجمهور،[22] وهو تأكيد وكشف لاسم هذا الرب الخالق حتى لا يكون مدعاة لأي تقول. هذه الدلالة الإشارية تؤكدها بعض الروايات والدلائل الأكثر وضوحاً: فهناك رواية معزوة إلى ابن عباس ومجاهد[23] تذكر أن سورة الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن. وهناك حديث مرسل أخرجه البيهقي والواحدي ووصف رجاله بالثقات عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل عن النبي ﷺ، أن الفاتحة أول ما نزل من القرآن.[24] ولما كانت هناك أحاديث صحيحة منها حديث رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها تذكر أن مطلع سورة العلق هي أولى آيات القرآن نزولا، "فيمكن أن تحمل رواية أولية سورة الفاتحة على أنها أولى السور التامة نزولاً[25]"، وعلق البيهقي على أولية نزولها فقال: "إن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت أقرأ والمدثر[26]"، وقال الطيبي في الكشاف: "ذهب أكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب[27]"، وقد ورد في ترتيب نزول السور رواية لأبي الفضل جعفر بن محمد القرشي عن علي بن أبي طالب بدأت بالفاتحة ثم العلق،[28] وهي هنا مقدمة على سورة العلق لكن المرجح

---

[20] عاطف محمد مصطفى كنعان، الإنسان في الشعر الجاهلي، (رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية-كلية الدراسات العليا-قسم اللغة العربية وآدابها، 1997م)، ص240.

[21] ينظر: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، (مكتبة ابن تيمية)، ج 16، ص 296.

[22] دروزة، التفسير الحديث، ج 1، ص 289.

[23] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 69.

[24] السابق، 70، 71.

[25] دروزة، التفسير الحديث، ج1، ص 17.

[26] ينظر: السيوطي، الإتقان، ص71.

[27] ينظر: السابق، ص70.

[28] آرثر جيفري، عبد الله اسماعيل الصاوي، مقدمتان في علوم القرآن، مراجعة عبد الله اسماعيل الصاوي، (مصر، مكتبة الخانجي، ط 2، 1954م) ص13-15.

كما سبق أولية العلق. ومضمون سورة الفاتحة يحمل عناوين الدعوة والرسالة كمقدمة لها، ويؤكد أسبقيتها أيضا، أن الصلاة كانت تمارس منذ بدء الدعوة "ولم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير الفاتحة[29]".

وورد هنا لفظ الجلالة لأول مرة في البسملة والآية التي تليها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين﴾ (الفاتحة:1، 2)، (هذا في حالة عدم استهلال مطلع سورة العلق بالبسملة في البدء)، وأهمية ذكر هذا الاسم في أول سورة تامة نزلت من القرآن، كما ذكر ألا يكون مدعاة لأي تقول، وكشف عن الموحي بالرسالة سبحانه وتعالى.

وقد تضمنت البسملة –كونها أول آية في السورة– اسمين لله عز وجل هما الرحمن والرحيم. وتكرر هذين الاسمين ثانية في نفس السورة ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:3). ثم تكرر في مفتتح كل سورة بعد ذلك، إن اسم الرحيم صفة لله عز وجل مثله مثل باقي الصفات التي تناولها القرآن، وإن كان وضعها في البسملة وبعد اسم الرحمن له دلالة خاصة.

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن قريش كونها أول من تلقت الوحي لا تعرف أو لا تؤمن بلفظ "الرحمن" كصفة لله سبحانه،[30] لكن قراءة لبعض الآيات التي جاءت حكاية على لسان عرب قبل الإسلام تبين عكس ما ذكرته الروايات، فقريش ذكرت اسم الرحمن في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُون﴾ (الزخرف:20)، والنصارى العرب قالوا: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء:26)، وجاء على لسان أصحاب القرية في سورة يس قولهم للمرسلين: ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾ (يس:15). وهذا يؤكد أن العرب قبل الإسلام كانت تطلق على الله اسم الرحمن، وأن الرحمن لم يكن إلهاً

---

[29] ينظر: السيوطي، الإتقان، ص30.

[30] لقد اضطرب ابن كثير في مسألة اعتقاد العرب بالرحمن، فهو تارة يقول: "وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله: "قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى.." (الإسراء:11). وقال كفار قريش يوم الحديبية: لما قال رسول الله ﷺ لعلي: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم". صحيح مختصر تفسير ابن كثير، ج 1، ص32، وفي تفسيره للآية يذكر ابن كثير: "يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل، المانعين من تسميته بالرحمن (الآية)..، وقد روى مكحول وابن عباس أن رجلا من المشركين سمع النبي يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم فقال: إنه يزعم أنه يدعو واحدا، وهو يدع اثنين فأنزل الله هذه الآية". السابق، ج 2، ص 1176. وفي تفسيره للآية "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً" (الفرقان:60) يقول ابن كثير: "أي لا نعرف الرحمن، وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن". السابق، ج 2، ص 1284. وفي تفسيره للآية "كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ" (الرعد:30) يقول: "أي هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن لا يقرون به، لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم". السابق، ج 2، ص 935. لكنه يأتي بعكس ذلك الرأي في تفسيره للآية "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً" (الفرقان:60) "والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في أشعارهم الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن" السابق، ج 1، ص 32، ويقول في قوله "أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا" أي "لمجرد قولك" السابق، ج 2، ص 1284.

مختلفاً عنه كما زعم بعض الباحثين اللادينيين العرب بقوله: "أن هناك معبود يمني قح كان يسمى الرحمن، غير المعبود الشمالي الذي كان يسمى إل أو الله[31]".

وأكد بعض المؤرخين صلة هذا الاسم بالله عز وجل عند العرب في قوله: "وقد كان أهل مكة على علم بالرحمن، ولا شك، باتصالهم باليمن وباليهود. ولعلهم استخدموا الكلمة في معنى الله[32]"، ويذكر في صدد وورد اسم الرحمن في شعر ما قبل الإسلام: "إن ذلك يعني أن قوما من الجاهليين كانوا يدينون بعبادة الرحمن. ومما يؤيد هذا الرأي ما ورد من أن بعض أهل الجاهلية سموا أبناءهم عبد الرحمن[33]".

وهكذا فإن قريشاً كانت تعرف الله باسمه الرحمن، وهذا من ميراثها الديني من إبراهيم عليه السلام وكذلك العرب، فقد ورد ذكر اسم الرحمن حكاية عن إبراهيم عليه السلام في الآيات: ﴿يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياً، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيا﴾ (الأنبياء:45). وقد ذكر هذا الاسم في القرآن على لسان بعض الأنبياء مثل هارون وسليمان عليهما السلام، والمؤمنين السابقين على الإسلام كمريم ومؤمن يس. وهذا يؤكد أصالة هذا الاسم في المنطقة العربية، وأن عبادته ليست كما يرى بعض المستشرقين "ظهرت بين الجاهليين بتأثير اليهودية والنصرانية بينهم[34]".

وقد وردت في سورة الفاتحة صفة لله عز وجل وهي "رَبِّ العَالَمِينَ"، ويأتي هنا تأكيد لاسم الله عز وجل عند العرب وصفته عند غيرهم، حيث تعددت الأرباب بين الأقوام والشعوب، كل يؤله رباً له أو أكثر، لكن رب العالمين ظل في معتقداتهم دلالة على القوة العظمى العاقلة الخالقة المدبرة الرازقة المحيية المميتة. وهذه البداية تدحض قول بعض المستشرقين إن الله هو اسم صنم كان بمكة، أو أنه إله أهل مكة، بدليل ما يفهم من القرآن الكريم في مخاطبته ومجادلته أهل مكة من إقرارهم بأن الله هو خالق هذا الكون.[35]

وهكذا حملت سورة الفاتحة ثاني سورة نزولاً ما يعتقده هؤلاء العرب في الله سبحانه، حيث خوطبوا باسم الله الذي يعتقدون به وباسمه الرحمن وصفته الرحيم وأنه رب العالمين.

---

[31] سيد محمود القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، (القاهرة: مدبولي الصغير، ط 1، 1416هـ 1996م)، ص121.

[32] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط2 جامعة بغداد)، ج 6، ص 37، 38.

[33] السابق، ج 6، ص 38، 39.

[34] السابق، ج 6، ص 40.

[35] ينظر: جواد علي، المفصل، ج 6، ص 24.

لم يتناول القرآن الكريم مسألة إثبات وجود الله سبحانه، وإنما تعرض لذاته باعتبار وجوده أمراً معروفاً لمحمد ﷺ ومعروفاً أيضا لأولئك الذين يتلقون الرسالة[36]، فقد كانوا يعتقدون أن الله عز وجل خلقهم وسواهم، ويعتقدون بشمول قدرته وكونه المتصرف المطلق في كل شيء، وأنه جعل لهم ما في السماء والأرض مسخر لهم. يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف:87)، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان:25)، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ... وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت:61- 63)، ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (المؤمنون:84- 89)، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ (يونس:31)، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾ (الزخرف:9).

وآخر آية تدل على أنهم لم يكونوا يجهلون صفات الخالق مثل كونه عزيزاً عليماً. وكانوا يعتقدون بأن الله هو المعاذ الأعظم، والمؤثر الأكبر، والموئل في كل أمر، ويلجئون إليه، ويجأرون بالاستغاثة به حينما تحدق بهم الأخطار، ويمسهم الضر، ثم لا يتورعون عن العودة إلى شركهم بعد أن يكشف عنهم الضر ويبعد عنهم الخطر، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:63، 64)، ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ (الفرقان:77)، يقول دروزة "ومما يتبادر لنا أن جملة [لولا دعائكم] هي بسبيل الإشارة إلى اعتراف المشركين بالله الخالق البارئ رب الأكوان ودعائهم إياه وحده حينما يصيبهم الضر مما حكته آيات عديدة[37]".

لقد كان شرك العرب اعتقاد بأن هناك شركاء لله في الربوبية عزوا إليها بعضاً من صفات الله وأسمائه، وشاركوه في التدبير والحكم والتشريع وغير ذلك من لوازم الربوبية، ومن ثم عبدوها ودعوها تقرباً لله مع عبادتهم لله، لذا سماهم الله "مشركين"، وهذا الشرك ليس في صفة الخلق لاتفاق المشركين بأن الخلق

[36] مونتجمري وات، محمد في مكة، ص 139.

[37] دروزة، التفسير الحديث، ج 3، ص 105.

لله وحده كما سبق القول،[38] حيث ظل الخالق الواحد الله سبحانه بالنسبة للأرباب التي ألهت معه أو دونه بمنزلة الرب الأعلى، يقول الله تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ (يوسف:39)، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَباً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام:164)، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ..﴾ (التوبة:31). وسيأتي بعد قليل سبب هذا الشرك من خلال اعتقاد عرب قبل الإسلام بالملائكة.

ولقد كان هُبَل أو هُبَعْل[39] أو بَعْل[40] معبود قريش الأكبر عبارة عن صفة مجسدة للإيجاد والخصب للرب الأعلى أو الله في اعتقاد المشركين، نصب كرمز لهذه الصفة، للاستسقاء[41] والاستنصار، فقد نادت قريش بعد أعقاب غزوة أحد "أعلُ هبل[42]" وهو يعني أنه كبير آلهتها، وكما ورد عند أهل الأخبار"كان هبل من أعظم أصنام قريش،[43] والدليل على كون هبل رمزاً لصفة مجسدة من صفات الله سبحانه وليس إلها مقصودا في ذاته، وأنه لا يزيد أمره عن كونه رمزاً ديني مجسداً للإله الغيبي ما تشير إليه الروايات في وصفه "كانت يده اليمنى مكسورة، فأدركته قريش فجعلت له يدا من ذهب[44]"، ويؤكد هذا الترميز الديني عن طريق الوثن باحث في الأساطير العربية قبل الإسلام "إن الأساطير التي نسجها (العربي) حول النصب تدل صراحة على أنه لم يعبد الوثن معتقدا أنه خالقه أو خالق الكائنات، لأنه تارة يستقسم

38 لقد نفي ابن تيمية أن هناك تعدد في الربوبية، وأن الشرك كان فقط في الألوهية، حتى ذهب في تعريفه لتوحيد الربوبية أنه "اعتقاد أن الله وحده خلق العالم" درء تعارض العقل والنقل، ص130، وسار على ذلك كثير من علماء السلف في تعريفهم للربوبية، يقول أحدهم: "الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا" تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، هداية المريد لتحصيل معاني كتاب التوحيد المفيد، (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي 1414هـ، 1993م)، ص 9.

39 مؤلفات جرجي زيدان الكاملة، (بيروت، دار الجيل، ط 2، 1415هـ 1994م)، ج 12، ص 188.

40 وقد ورد في كتب اللغة أن "بعل الشيء: ربه ومالكه" لسان العرب، ج 1، ص 316، قاموس المحيط، ج 3، ص335. وهكذا في باقي اللهجات السامية يعني "مالك وصاحب ورب في اللهجات السامية.. ولما كانت لفظة بعل تعني الرب والصاحب، صار اسم الموضع يرد بعد (بعل)، فيقال: بعل صور، وبعل لبنان، وبعل غمدان. أما إذا وردت اللفظة مستقلة دون ذكر اسم الموضع المنسوب إليها بعدها، فتعني عندئذ رب وإله" جواد علي، المفصل، ج 6، ص 25.

41 ورد لفظ بعل في النقوش الدينية القديمة بمعنى رب السماوات الحاملة للمطر. موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ص338. فالكلمة في أصلها لا تحمل صيغة وثنية لذلك ورد "عند بعض المفسرين وأصحاب المعاجم أن كلمة بعل تطلق على كل الأراضي المزروعة التي لا تسقى. واستعملت كلمة بعل في الإسلام لتدل على أرض لا تسقى، أي لا تسقى بالواسطة... وقد ربطت كتب الفقه وكتب الخراج كلمة بعل بمعنى أرض مزروع لا تسقى، وخاصة فيما يرتبط بضريبة العشور التي تفرض على الإنتاج الزراعي". خالد العسيلي، دراسات في تاريخ العرب، ص 300

42 سيرة ابن هشام، ج 3، ص 93.

43 أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي، الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية 1323هـ 1924م)، ص 27.

44 الأزرقي، أخبار مكة، (بيروت: لبنان، دار الثقافة، ط 3، 1399هـ، 1979م)، 119/1. الكلبي، الأصنام، ص 28.

عند الوثن، وتارة أخرى يسبه ويشتمه، ومرة ثالثة يأكله وقت المجاعة[45]". فجاءت الرسل لتندد بما أحدث الناس، كقول إلياس لقومه: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ،[46] اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ (الصافات:125، 126).

الاعتقاد بالملائكة عند عرب قبل الإسلام

عرف العرب في الجاهلية الملائكة، فكلمة ملك وملائكة "مما كان مستعملا في اللسان العربي قبل نزول القرآن، ومما كان مفهوم الدلالة عند العرب[47]". وكان القرآن واضحاً في أنه يخبر عن قوى ومخلوقات يعترف السامعون بوجودها وصفاتها، بما يقارب ما يقرره القرآن عنها، بقطع النظر عن عقائدهم الدينية فيها.

يورد القرآن أن هناك اعتقاداً عند العرب بأن الرسل الذين يبعثهم الله لمخاطبة الناس عامة في أمور الدين إنما هم من الملائكة، وقد يكون تعميم المعنى اللغوي لاسم "ملك" كان من ضمن عوامل هذا الاعتقاد، ﴿فإن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله كما قال تعالى: ﴿.. جَاعِلِ الملائِكَةِ رُسُلاً... ﴾ (فاطر:1)، وقال: ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفا﴾ (المرسلات:1) ، وقد ذهب "أكثر المفسرين على أن الاسم مشتق من الألوكة بمعنى الرسالة وأن الكلمة تعني الرسل[48]".

فقد كان العرب يفترضون أن يكون الرسول من طبيعة غير طبيعة البشر، ومن قوة ومواهب فوق قوى البشر ومواهبهم، وكان ذلك سببًا من أسباب وقوفهم من النبي ﷺ موقف المكذب المرتاب، يقول الله تعالى: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾ (الإسراء:90-94)، ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرا﴾ (الفرقان:7)، ﴿.. أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ... ﴾ (هود:12)، ﴿.. أَوْ جَاءَ مَعَهُ الملائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (الزخرف:53)، ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين﴾ (الحجر:7). وفي رد القرآن على اعتقاد قريش ما يشير إلى الاعتقاد، يقول الله تعالى: ﴿..وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ... ﴾ (الأنعام:50)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ، وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِين﴾ (الأنبياء:7، 8)، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً .. ﴾ (الرعد:38). وهذا الاعتقاد لم يقتصر على معاصري الرسول عليه الصلاة والسلام، بل

---

[45] محمد عبد المعين خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1937م)، ص 107.

[46] ويجدر التنويه هنا أن ذكر الآية لفظ الخلق في "أَحْسَنَ الخَالِقِينَ" تعني الصنع والتقدير وليس الإيجاد من العدم لقوله تعالى "وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي" (المائدة:110).

[47] دروزة، التفسير الحديث، ج 1، ص 465.

[48] السابق: ج 1، ص 464.

وردت آيات تشير إلى وجود هذا الاعتقاد عند قوم نوح وعاد وثمود[49]، وأن هذا الاعتقاد متوارث عمن سبقهم أيضاً.

يتبين من تلك الآيات تكرار حكاية طلب استنزال الملائكة، في صدد الدعوة، تبليغاً أو تأييداً، وكون الرسل خالدين لا يموتون، ولا يأكلون الطعام ولا يمشون في الأسواق، ولا يتزوجون وليست لديهم ذرية، حيث يدل هذا على الجزء الكبير الذي كان يشغله الملائكة في أذهان العرب قبل الإسلام، واعتقادهم بوجودهم، وصلتهم واختصاصهم بالله، وكونهم منفذي أوامره وأصحاب الحظوة لديه. حيث إن استنزال ملك يؤيد النبي ﷺ ويكون معه نذيرا يؤكد اعتقاد المشركين بوجود صلة بين الملائكة وبين الله تعالى وحظوتهم لديه وقيامهم بخدمته سبحانه وتعالى.

هذا الاعتقاد يبدو أنه قد تولد من تفسيرات دينية للآباء والكهنة والخرافات التي ثقلت الذهن الديني في تلك الفترات، والتي دارت حول نزول الملائكة على إبراهيم والأنبياء عليهم السلام، وحول نزول الملكين هاروت وماروت في بابل ﴿.. وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوت.. ﴾ (البقرة:102)، وما قيل في جمال الملائكة ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف:31).

ولقد زعم العرب أن الملائكة بنات، وأن لها صلة أبوية بالله، قال الله تعالى: ﴿..وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُون﴾ (الأنعام:100)، ﴿ أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ، وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الصافات:151، 152)، ﴿وَجَعَلُوا الملائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً... ﴾ (الزخرف:19)، ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الملائِكَةِ إِنَاثاً... ﴾ (الإسراء:40)، ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ، أَمْ خَلَقْنَا الملائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُون﴾ (الصافت:150،149).

وكان من نتيجة التأويل الخاطيء لأدوار الملائكة كرسل للبشرية، والفهم الفاسد لنسبتها لله سبحانه أن اعتقد العرب بربويتها ثم أصبغوا عليها الألوهية فعبدوها من دون الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الملائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 80)، ويقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُون﴾ (سبأ:40).

وبما أن الملائكة لا يظهرون للبشر في كل زمان وكل مكان، اتخذ العرب لهم رموزاً حتى يمكن تعظيمهم والتقرب إليهم وعبادتهم، وانقسم هذا الرمز إلى نوعين: رمز أرضي، ورمز سماوي.

إن الرمز الأضي يعكس الرمز الحاضر الذي لا يغيب، ويمكن أن يتعدد الرمز للمرموز الواحد، وتتعدد أشكاله وطبيعته، ويمكن أن يستبدل، ويسمى تمثالاً أو صنماً أو وثناً[50]. إن دلالة هذه الأسماء

[49] (المؤمنون: 24)، (هود: 31)، (فصلت: 14).

تشير إلى أنها "لا تدل على إله إنما تدل على رمز[51]"، وقد شرح ميرسيا إلياد دور الرمز الديني في الأديان التي تسمّى وثنية بقوله: "يمكن للمقدس أن يظهر نفسه في حجارة أو أشجار،...إنهما ليسا موضع عبادة فعلاً لأنهما تجليان، ولأنهما يظهران شيئا ما ليس هو لا حجر ولا شجر وإنما الكائن المطلق[52]"، وهذا ما أكده ابن كثير في تفسيره حيث ذكر أن العرب: "عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صورة الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا[53]".

لقد اشتهرت عند عرب قبل الإسلام ثلاث إلهات سميت بـ "اللّات" و"العُزّى" و"مناة"، ومن الواضح من سياق سورة النجم في صدد ذكر تلك الأسماء أنها رموز للملائكة، فقد كشف السياق عن هذه الصلة بين هذه المعبودات الثلاثة وبين الملائكة عند المشركين، وقد استنكرت السورة نسبة الأصنام إلى الله سبحانه وتعالى بالبنوة وقد أشارت الآيات السابقة كما مر إلى اعتقادهم أن هذه البنوة تعود إلى الملائكة، وعن كون هذه المعبودات أسماء سمُّوها من تلقاء أنفسهم وآبائهم، ثم الهدف من هذه العبادة وهو الاستشفاع، ثم انتقل السياق إلى استنكار من تسمية الملائكة تسمية الأنثى، وأن شفاعتهن لا تغني شيئاً، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى، تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى، إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى، أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى، فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى، وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى، إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ

---

[50] أما ما ورد عن الكائنات الطبيعية والحيوانية في الأخبار ففي الغالب إن عبدت لكونها لها علاقة بالآلهة على سبيل التبرك، ولا يدل إطلاقا على أن النوع بأسره هو الذي كان معبودا، كما أنه لا يدل أن الأمر متعلق بنظام طوطمي. يقول أحد الباحثين: "كانت العرب تقدس الحيوان وتعبده كما يقدسه ويعبده أهل الطوتم، لكن غرضهم في تقديس الحيوان وعبادته يختلف عما يقصد أهل الطوتم، إذ كان أهل الطوتم يرمون بعبادة الحيوان إلى إجلال الآباء وإكرامهم، فكانوا مدينين للطوتم بحياتهم ومماتهم، لكن العرب لم تعتقد أن حياتها هبة من هبات إله حيواني، ولا رأوا صلة رحم بينهم وبين الحيوان الطوتمي كما هي عقيدة المتوحشين، بل كان العربي يقدس الحيوان ويعبده لتحصل له البركة، وشكرا لاستفادته منه على مجرى عادة الرعاة جميعا، أما الأصنام يغوث ويعوق ونسر ويعبوب ويربوع، فقد بينا أنها لم تعبد في بادية الحجاز بل ما وجد أثر لها في حياة العرب الاجتماعية، إن هي إلا أسماء سموها" (محمد عبد المعيد خان الأساطير العربية قبل الإسلام ص83)، ويقول ديسو: "ليس هناك دليل قاطع على الطوتمية البدائية عند الساميين، وذلك لا ينبغي أن يكون موضع دهشة لأن الوثائق التي في متناولنا، مهما بلغت في القدم، فهي تنتمي إلى عهد بعيد كل البعد عن الطوتمية البدائية، والأستاذ نولدكه لا يعتقد في هذه الأسماء [أي أسماء الأعلام المكونة من أسماء حيوانات أو نباتات أو معادن] أي دليل يؤيد الطوتمية البدائية عند الساميين " (رينيه ديسو، العرب في سوريا قبل الإسلام، ص91)، يقول جرجي زيدان: "أما تسمية العرب أولادها بكلب وقرد ونمر وأسد.. فذهب علماؤنا إلى أن العرب كانت إذا ولد لأحدهم بان ذكر سماه مما يراه أو يسمعه مما يتفأّل به، فإن رأى حجرا تأول فيه = الشدة والصلابة والبقاء والصبر، وأن رأى ذئبا تأول فيه طول العمر والوقاحة..." جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، (القاهرة: الهلال: ط3) ص62.

[51] مصطفي عبده، الوثنية والأديان، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، 1999م)، ص 16.

[52] ميرسيا إلياد، المقدس والمدنس، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، (دمشق، دار دمشق. ط1، 1988م)، ص17.

[53] صحيح مختصر تفسير ابن كثير، (القاهرة: دار السلام، ط3، 2003م)، ج 3، ص 1551.

بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المِلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى، وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾ (النجم:19- 28). ومما يوضح الصلة بين الملائكة وتلك الأوثان الرواية التاريخية الموضوعة، حيث زُعِم أن الرسول ﷺ مدح اللات والعزو ومناة ووصفهن بالغرانيق العُلى، وأن شفاعتهن لتُرتجى، والغرنوق هو "اسم لطائر مائي أسود أو أبيض..طائر طويل القوائم[54]"، وهذا وصف أقرب للملائكة في الأذهان، لما جاء في وصف الملائكة بأنها ذات أجنحة في الرسالات السماوية، وفي هذه الرواية الموضوعة على ما فيها من تناقض مع السياق القرآني للسورة التي تدعو إلى التوحيد، يبدو أن رواتها قصدوا هذا الربط بين الملائكة والأصنام، فكان المدح على سبيل مدح الملائكة.

أما النوع الثاني من الرمز وهو الرمز السماوي الذي اتخذه العرب رمزاً للملائكة، فقد ظهر كثير من النقوش التاريخية[55] على أن آلهات العرب الثلاث "اللات والعزى ومناة" والتي توصف ببنات الله تشير إلى كوكب الزُّهرة، أو كوكب الصباح عند العرب، أو عشتار أو عشتر أو عشتروت حسب أسمائها عند الساميين، وتشير أغلبها أنها أنثى أو بنت الإله.

ويبدو أن اللات والعزى ومناة والتي هي أصنام رُمزت إلى الملائكة التي اعتبرها العرب بنات الله سبحانه وتعالى لم يتوقف أمرها على ذلك فقط، بل صعد بها العرب إلى السماء برمز أحد النجوم، وحسب ما جاء في سياق سورة النجم، فربما يكون هذا النجم عند قريش هو الشعرى، وقد ذكرها الله في سورة النجم التي ذكر فيها آلهات العرب الثلاث في قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ (النجم:49) وتلك إشارة على وجود صلة هذا النجم بها. والشعرى كما جاء في التفاسير نجماً أو كوكباً كان يعبد في الجاهلية[56]، و"في كتب الإخباريين (ذُكر أن) قريش عبدوا الشعرى[57]". ولقد ورد في الروايات التاريخية أن اللات والعزى ومناة المتمثلات بنجم الشعرى أن العرب كانوا ينسبون إليها السعادة والإخصاب وإيجاد نوع المولود والرزق والموت والحياة على أساس مطلع النجم، فقد ذكر أحد الباحثين في أساطير العرب ذلك "كانت للعزى علاقة بالنساء والزواج، وهذا ما نراه من عادات العرب الجاهلية، قال الألوسي: كانت المرأة من العرب إذا عسر عليها خاطب النكاح ...كانت تقول: [يا نكاح أبغي نكاح قبل الصباح]..أي قبل طلوع نجم الصباح"، و"قد مثلت مناة الموت عند العرب كما كانت تمثل الموت

---

54 لسان العرب، ج 5، ص 3249.

55 ينظر: ديسو، العرب في سوريا قبل الإسلام، ص 124، 125، 35. ديتلف نيلسون، التاريخ العربي القديم، ص198. موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ص 333. محمد عبد المعين خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، ص121. جواد علي، المفصل، ج 6، ص 238

56 صحيح مختصر تفسير ابن كثير، ج 3، ص 1739.

57 جواد علي، المفصل، ج 6، ص 58.

والقدر أيضا عند البابليين، وقد قالوا في خطابهم إلى مناتوا: [يا مناة يا إلهة القدر والموت][58]"، فربما جاءت الآيات في سورة النجم قبل ذكر نجم الشعرى رداً على هذه المعتقد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا، وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى، مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى، وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ (النجم:43- 49).

إن ربط بنت الإله أو البنت المقدسة بنجم الزُّهرة يثير التساؤل حول تسمية السيدة فاطمة رضي الله عنها بـ "فاطمة الزهراء"، هذا الاسم الذي في حقيقته ليس له أصل في السنة والروايات التاريخية، ويبدو أنه أثر مجوسي من خلال شيعة الفرس.

وهكذا يتبين أن اعتقاد العرب بالملائكة كان يرتبط بعقيدة الألوهية، وقد ذكر ذلك الشهرستاني حول اتفاق الأديان والملل "أن للعالم قوة إلهية، وهي مدبرة لجميع ما في العالم،... (وهي) عند العرب الملائكة[59]"، وهذا ما استنتجه أيضاً عبد الرحمن بدوي في قوله: "إن عقيدة الألوهية قبل الإسلام كانت خاصة بفكرة الملائكة[60]". هذه العقيدة هي التي وصف القرآن بها عرب قبل الإسلام بـ"المشركين" حيث كانوا يجمعون بين الاعتراف بالله كإله أعظم وبين عبادة الملائكة كبنات لله سبحانه ورسله وشفعاء، مع جعل رموزاً لها مادية تارة كالأوثان والأصنام وسماوية تارة أخرى كنجم أو كوكب، مما أظهر هذا الشرك في شكله الخارجي كعقائد متنوعة مختلطة ومتداخلة بعضها في بعض.

الاعتقاد بالأنبياء عند عرب قبل الإسلام

يمكن القول بأن هناك فرق في اعتقاد العرب بين الرسل والأنبياء من حيث الطبيعة، حيث إن الرسل هم ملائكة كما جاء حكاية عن العرب والأمم السابقة في النصوص القرآنية السابقة، والأنبياء هم بشر يقومون بتمثيلهم والنبأ عنهم، أو يجيء نذيراً معه، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرا﴾ (الفرقان:7).

إن كلمة نبي عربية لفظاً ومعنى، فهي عربية لفظاً لأن مادة النبأ والنبؤة أصيلة في اللغة. وعربية معنى؛ لأن معنى النبؤة الذي تؤديه لا تجمعه كلمة واحدة في اللغات الأخرى، وهو لا يلتبس مع معاني آخرى كالعرافة والعيافة والكهانة خلافاً للغات الأخرى، ويقال أن العبريين قد استعاروا هذه الكلمة من العرب في شمال الجزيرة بعد اتصالهم بهم، لأنهم كانوا يسمون الأنبياء القدماء بالآباء، ولم يفهموا من كلمة النبوة في مبدأ الأمر إلا معنى الإنذار، يقول العقاد: "ومن علماء الأديان الغربيين الذين ذهبوا إلى اقتباس

---

[58] خان، الأساطير العربية، ص 129.

[59] الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا. علي حسن فاعور، (بيروت: لبنان، دار المعرفة، ط 6، 1417هـ، .1997م)، ج 1، ص 289.

[60] الدفاع عن القرآن، ص126.

العبريين كلمة النبوة من العرب الأستاذ هولشر، والأستاذ شميدت اللذان يرجحان أن الكلمة دخلت في اللغة العبرية بعد وفود القوم على فلسطين[61]"، وهذا يدل على معرفة العرب بالأنبياء والنبوة.

لقد كان لإبراهيم عليه السلام مقاماً خاصاً وهو الأبوة عند العرب يأتي مما كان متواتراً من أن العدنانيين سكان الحجاز لهم صلة بنوة بإبراهيم عليه السلام من طريق إسماعيل، وإلى ذلك تشير الآية في قوله تعالى: ﴿ ... مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المسْلِمِينَ مِن قَبْلُ... ﴾ (الحج:78)[62] ، وتشير بعض الآيات إلى صلة إبراهيم بمكة، منها آية مكية في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً.. ﴾ (إبراهيم: 35)، وتشير الآية المدنية ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ... ﴾ (البقرة:125) إلى وجود مقام للنبي إبراهيم عند الكعبة، وهكذا يتداول عرب قبل الإسلام نسبة الكعبة وتقاليد الحج لإبراهيم عليه السلام.

وفي كتب التفسير روايات كثيرة ومسهبة عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مروية عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم وعلماء الأخبار في الصدر الإسلامي الأول، منها ما هو غير وارد في سفر التكوين، وفيها على كل حال دلالة على أن ذكرهما كان متداولاً بنطاق واسع في بيئة النبي ﷺ قبل البعثة.

ويلاحظ أن ما ورد من قصص وأخبار متصلة بالأمم السابقة وأحداثها في القرآن لم يكن غريباً عن السامعين إجمالاً، يتضح هذا في الإشارات المقتضبة عن الأنبياء وأقوامهم في أوائل السور المكية الآيات: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى:18، 19)، ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم:37). وفي نفس السورة إشارة أخرى لمعرفة هؤلاء بالرسل ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَى﴾ (النجم:56). و"هي أولى الإشارات إلى كتب الله الأولى ... وأسلوبها يمكن أن يدل على أن السامعين لا يجهلون أن هناك كتباً إلهية نزلت على أنبيائه ومنهم إبراهيم وموسى عليها السلام[63]"، ويبدو أن ذكر أسمائهما لأول مرة متصل خاصة بما كان لهذين النبيين من صورة مهمة في أذهان السامعين أكثر من غيرهما.

بل قد ورد في القرآن قصص وأسماء أنبياء ورجال صالحين ترتبط بالمنطقة العربية كقصص هود وصالح عليهما السلام مع قومهما عاد وثمود وقصص سبأ وحِكَم لقمان، ولم ترد هذه في أسفار التوراة والإنجيل، ويظهر من سياق الآيات المرتبطة بمصائر قوم عاد وثمود معرفة العرب بهما.

---

[61] عباس العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، (القاهرة: المؤتمر الإسلامي، ط 1، 1376هـ 1957م)، ص63.

[62] دروزة، التفسير الحديث، ج 1، ص 520.

[63] السابق، ج 1، ص 521.

وقد اتسم القصص القرآني في بداية التنزيل بكونه "إشارات معدودة إلى أحوال السابقين، تهدد المشركين بذكر مصائر بعض المكذبين والطاغيين، وتثبيت النبي ﷺ بذكر شيء من قصص المرسلين[64]"، يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى.. ﴾ (النازعات:15)، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلادِ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ،..﴾ (الفجر:6، 10)، وغيرها، وهذا الأسلوب الاستفهامي الذي جاءت فيه هذه الآيات يلهم أن أخبار عاد وثمود وفرعون وآثارهم والعذاب الذي حل فيهم غير مجهولة عند سامعي القرآن.

ولقد وردت آيات واضحة المعنى في أنهم كانوا يعلمون مصائر الأقوام السابقة، وما حل فيها من تدمير رباني، بل شاهدوا آثارهم، الآيات: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ القُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾ (طه:128)، ﴿وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت:38)، ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ القُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة:26)، ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ (الفرقان:40)، ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (الصافات:137، 138)، وفي سورة النجم قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَى﴾ (النجم:56) والآية توكيد بأن الإنذار القرآني الذي يبلغه النبي عليه الصلاة والسلام هو من جنس النذر الأولى التي أرسلها الله على لسان رسله الأولين ولما كان السامعون والكفار منهم يعرفون خبر رسالات الرسل السابقين كانت الحجة قد قامت عليهم.

وتشير بعض الآيات إلى استشهاد أهل العلم وأهل الكتاب على صحة صلة القرآن بالله تعالى وصحة رسالة النبي ﷺ، فهي بذلك تشير إلى أن العرب كانوا يثقون في علم أهل الكتاب وعلماء بني إسرائيل واطلاعهم، وقد روي أنه "كانت المرأة تكون مقلاتاً فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده[65]"، وفي ذلك دلالة على مكانة اليهود كونهم أهل علم وكتاب، الآيات:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأحقاف:10)، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ،..... أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء192، 197)، ﴿وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ (طه:133) "ولقد ردت عليهم الآية (الأخيرة) متسائلة عما إذا لم يكفهم ما يرونه من تطابق وتوافق بين القرآن الذي يتلى عليهم وما في الكتب المنزلة الأولى من الله على رسله السابقين. وهذا الرد ينطوي

---

[64] محمد محمد عبد إسماعيل، موقف القرآن من المشركين، ص 293.

[65] سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الإسلام موسوعة الحديث الشريف، ص 1422.

....على كون الكفار لا ينكرون الله تعالى وعادته في إرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم من جهة، ولا يجهلون أن ما في أيدي أهل الكتاب هو من ذلك من جهة[66]"، ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ (القصص:48) "أي إن ما جاء به موسى عليه السلام وما جاء به محمد ﷺ سحر يظاهر بعضه بعضا وإنا كافرون بكل منهما[67]".

ومما يؤكد معرفة العرب بهذه القصص أن صيغة أعلام القصص مثل طالوت، وجالوت، ويونس.....الخ، قد جاءت في القرآن معربة، وعلى أوزان عربية من لغات غير عربية، ولم تكن فيها بالصيغة العربية الواردة حتماً، ومن المستبعد أن تكون قد عربت لأول مرة في القرآن، ومن المرجح أن تكون عربت وتداولت بأوزانها العربية قبل نزولها. وبهذا يصح أن يشملها ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء:195) الذي جاء في معرض نزول القرآن لأنها جزء منه.

ومما يؤكد أيضاً تداول هذه القصص معربة قبل نزول القرآن ما تكرر من حكاية المشركين في القرآن في وصفهم بـ"أساطير الأولين" وإن النبي ﷺ استكتبها وهي تملى عليه وإنه كان أناس يعينونه عليها وإنهم لو شاءوا لقالوا مثلها كما جاء في الآيات ﴿... إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (الأنعام:25)، ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (القلم:15)،[68] وهذه الآيات قرينة قوية وحاسمة على أن العرب كانوا يسمعون من مقصد القرآن ونذره وبشائره وتذكيراته ما كان اتصل علمه بهم وكان متداولا بينهم.

ويمكن إضافة إلى الآيات العديدة التي احتوت دلائل وقرائن على أن السامعين كانوا يعرفون أخبار الأمم والأنبياء التي تتلى عليهم في القرآن، ما أورده المفسرون من بيانات كثيرة في سياق كل قصة من القصص، مسهبة حيناً، ومقتضبة حيناً، معزوة إلى علماء الأخبار حيناً، وعلى غيرهم حيناً آخر مثل ابن عباس، ومقاتل، ومجاهد، والضحاك، والكلبي، وغيرهم. هذه البيانات قد احتوت تفاصيل وجزئيات حول القصص القرآني، ومن المرجح أنها مما كان يدور في بيئة النبي ﷺ قبل البعثة، وبعدها، وحولها.

---

[66] دروزة، التفسير الحديث، ج 3، ص 221.

[67] السابق، ج 3، ص 320.

[68] إن كلمة أساطير لا تقتضي دائما أن تعتبر مرادفة لكلمة قصص خرافية كما هو من مفهوماتها، فإنها قد تفيد أيضا معنى المدونات لأنها مشتقة من سطر بمعنى كتب كما هو وراد في القرآن "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ "(القلم:1)، وآية "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً" (الفرقان:5) تلهم أن هذه من المعاني المقصودة للكلمة. ومهما يكن من أمرها فإنها تعني على كل حال أنهم يسمعون أخبارا وقصصا وصلت إلى علمهم عن الأمم السابقة حقيقية كانت أو خرافية. (دروزة، التفسير الحديث، ج 1، ص 169)، فقد كانوا يرددون هذا القول بقصد تكذيب صلة الله بالنبي وصحة التنزيل القرآني والدعوة النبوية والحياة الأخروية.

وهذه الآيات وغيرها فيها دلالة قوية على أن العرب كانوا يعرفون أخبار الأنبياء ومعجزاتهم، حيث يمكن أن يقال إن حكمة الله اقتضت أن تكون القصص معروفة من قبل السامعين جزئياً أو كلياً لتكون العبرة والعظة والإفحام أشد، لأن الناس يتأثرون بالأمثال التي يعرفونها، والأحداث التي يعلمون نبأها، مما يجعل العبرة والمثل قويين وملزمين، وبذلك تستهدف إقناع العرب بأن الرسالة المحمدية ليست بدعة جديدة وإنما هي نفس الدعوة التي دعا إليها الأنبياء السابقون وهذا يلهم أن العرب كانوا يعرفون ويعترفون بأن الله تعالى أرسل قبل النبي ﷺ أنبياء، وهو ما حكته عنهم آيات عديدة.

ومن الجدير بالذكر الحديث أن بعض المفسرين احتجوا بآيات تشير إلى أن ما أوحاه الله تعالى للنبي ﷺ من هذه القصص هو من أنباء الغيب التي ما كان يعرفها هو ولا قومه من قبل، وهذه الآيات هي ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود: 49)..وآية ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران:44) ..وآية ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (يوسف: 102)، ولقد فسر البيضاوي أن قصد هذه الآيات هو عدم معرفة النبي ﷺ وجميع قومه بجميع التفصيلات وأن هذا لا يمنع أن يكون عرفها بعضهم أو عرف بعضهم بعضها.[69]

والذي يؤكد ما ذهب إليه البيضاوي من معرفة الرسول عليه الصلاة والسلام بقصص الأنبياء، كونه من هذه البيئة التي ذكر معرفتها بهذه القصص، وهذا خلاف ما رآه المفسرون من حيث إن النبي ﷺ لم يكن يعلم شيئا من القصص التي كان يوحي إليه بها قبل نزولها، فالنبي ﷺ كان يعيش قبل نزول الوحي عليه في بيئة عربية تتناقل هذه القصص والأخبار العربية، ويلتقي عليه الصلاة والسلام بأهل الكتاب، وهناك روايات عديدة تذكر أن النبي ﷺ كان يتصل بهم ويسمع منهم ما في كتبهم، وقام عليه الصلاة والسلام ببعض الأسفار، فليس من المعقول أن يقال أن النبي ﷺ كان لا يعرف شيئا عن الأنبياء والرسل، يعلق دورزة على رأي المفسرين هذا بقوله: "إن ذلك آت من سوء فهم كنه وهدف الوحي بهذه القصص، وليس من تعارض قط بين وحي ما اقتضت حكمة التنزيل إيحاءه منها بالأسلوب الذي أوحيت به وبين ما يمكن ويصح أن يكون النبي قد عرفه منها قبل نزولها[70]".

والآيات التي احتج بها المفسرون هي تشير إلى قصة نوح ويوسف عليهما السلام، ولقد كان العرب يعرفون قصة نوح واتخذوا أصنام قومه التي ذكرها الله في سورة نوح أصناماً لهم، فلا يصح أن يكون

[69] ينظر: تفسير البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفات، (بيروت، دار الفكر، 1416هـ، 1996م)، ج 2، ص39، ج 3، ص 238.

[70] ينظر: دروزة، التفسير الحديث، ج 1، ص 394، 395.

النبي ﷺ وقومه لم يعرفوا شيئاً منها، وقد ذكرت قصة نوح بتفصيل أو اقتضاب مرات كثيرة في السور التي نزلت قبل هذه الآيات، مثل سور ص والأعراف والقمر والشعراء، ولم يرد في هذه القصص وفي هذه السور مثل هذا التعليق والتقييد مما يجعل التأويل والتخريج سائغاً وصواباً.

وهناك إشكالية أخرى أن بعض ظاهر الآيات القرآنية قد يشير إلى عدم معرفة العرب بقصص الأنبياء عليهم السلام، وهو ما قد يناقض ما ذهبت إليه الآيات السابقة وفي هذا إشكال، لذلك ذهب بعض المفسرين إلى تأويلها، وهذه الآيات هي:

- الآية ﴿.. لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة:3)، ولقد روى البغوي عن ابن عباس في صدد هذه الآية أنها تعني الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام[71]. وقال الطبري كما مر سابقاً: إنها تعني قريشاً "أي ليس العرب" الذين لم يأتهم رسول قبل محمد ﷺ.[72]

- الآية ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ .. ﴾ (الأنعام155- 157) "فالمحكي المفروض هو عدم إطلاعهم ودراستهم وفهمهم هذه الأسفار مباشرة على اعتبار أن الهداية لا تتم إلا بذلك[73]".

- الآية ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون:68)، ولقد تعددت تخريجات المفسرين لمدى هذه الآية، منها أنها بسبيل استنكار كفر الكافرين لأن ما جاءهم ليس بدعا وأنه قد جاء لآبائهم من قبل.[74] ومنها أنها بسبيل استنكار كفرهم لأن الله قد اختصهم دون آبائهم بنعمته فأرسل رسوله لهدايتهم[75].

- الآيات ﴿ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُون﴾ (يس:6)، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُون﴾ (السجدة:3)، ﴿... لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص:46). هذا في حين أنه جاء في سورة النمل هذه الآية: ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (النمل:68)، وتكرر هذا في سورة المؤمنون ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا

---

[71] البغوي، معالم التنزيل، ج 3، ص 497.

[72] ينظر، تفسير الطبري، ج21، ص 89.

[73] دروزة، التفسير الحديث، ج 4، ص 192.

[74] ينظر: تفسير الطبري، ج 18، ص 41، والبغوي، معالم التنزيل، ج 3، ص319.

[75] ينظر: صحيح مختصر تفسير ابن كثير، ج 2، ص 1218.

مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون:83). يقول دروزة: "في صدد الإشكال الوارد عليه يجوز أن يقال أن آيات سورة يس والسجدة والقصص قد قصدت الزمن القريب بينما آيتا سورتي النمل والمؤمنون قد قصدتا الزمن البعيد. وفي الزمن البعيد الذي كانوا يتداولون أخباره جيلاً بعد جيل أنبياء عديدون من جزيرة العرب أو حلوا فيها وقد ذكروا في القرآن، ويعتبرون آباء أولين للعرب الذين يسمعون القرآن مثل هود وصالح وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام[76]".

وهكذا يتبين اعتقاد العرب بالأنبياء، وأن هناك في اعتقادهم فرق بين الرسل والأنبياء في طبيعة كل منهم، فالرسل من الملائكة، أما الأنبياء من البشر، ويؤكد اعتقادهم بالأنبياء، اتباعهم النبي إبراهيم عليه السلام، وانتسابهم إليه، والاعتقاد بأنبياء أهل الكتاب وثقتهم بهم، ومعرفتهم بأحوال الأمم السابقة التي أهلكت بسبب كفرها بالأنبياء عليهم السلام.

الخاتمة

وهكذا أوضحت هذه الدراسة التي اعتمدت على النص القرآني والخطاب المكي خاصة أن معتقدات العرب قد استمدت أصولها من دين سماوي مثلت أرضية لديانة عرب قبل الإسلام، فظل الاعتقاد بالله عز وجل لكنه كإله أعلى سبحانه، وظلت عبادته كما مارسها إبراهيم عليه السلام هي الأساس مع ما ألحقت بها من شركيات، وبقي الإيمان بالملائكة ككائنات سماوية غيبية لكن مع اعتقاد بمكانة خاصة أدت إلى عبادتها وتجسيدها كرموز أرضية وسماوية، واستمر الإيمان بالأنبياء لكن من خلال مذهب الآباء. وهذا يعني أن ما كان لدى العرب في الجاهلية أيضاً من شرائع وعبادات ومناسك لها صلة من قريب أو بعيد بالإسلام فإن مرجعها إلى دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام[77] شأنها في ذلك شأن معتقداتهم في الله وملائكته ورسله، ومن ذلك ألوان من الصوم والصلاة والزكاة، على تفاوت بعيد البون، بين ما كان عندهم، وما هو موجود في الإسلام من هذه العبادات.

وقد تبين من هذه الدراسة ضرورة النظر إلى معتقد العرب قبل الإسلام من ناحية التحريف الذي طرأ على ديانة سماوية تعود بعهدها إلى إبراهيم عليه السلام في منطقة الجزيرة العربية، ومن الضروري أن يأتي الإسلام مصححاً ما وقع على هذه الديانة من شرك، محافظاً على شعائر هذه الديانة، وهذا يبطل الادعاء بأن الإسلام قد تأثر بديانة العرب قبل الإسلام سواء أكان بالمعتقدات أو الشعائر.

---

[76] دروزة، التفسير الحديث، ج 5، ص 325، 326.

[77] ينظر: عبد الناصر سلام، المقدس عند عرب قبل الإسلام، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير (كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2005م)

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن. السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن، (د. ط)، القاهرة: دار التراث، (د. ت).
- أخبار مكة. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله. ط3، بيروت: دار الثقافة، 1399هـ، 1979م
- أديان العرب قبل الإسلام. جرجس داود. ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1408هـ، 1988م.
- الأساطير العربية قبل الإسلام. محمد عبد المعين خان. (د. ط)، (د. م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937م.
- أسباب النزول. الواحدي، علي بن أحمد. (د. ط)، القاهرة: مطبعة هندية، 1315هـ.
- الأصنام. الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد. تحقيق: أحمد زكي باشا. (د. ط)، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1323هـ، 1924م.
- الإنسان في الشعر الجاهلي. عاطف محمد مصطفى كنعان. رسالة دكتوراه، عمّان: قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1997م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي. تحقيق عبد القادر عرفات، (د. ط)، بيروت: دار الفكر، 1416هـ، 1996م.
- البداية والنهاية. ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر. ط1، بيروت: دار الفكر، 1407هـ -1986م.
- تاريخ القرآن. الزنجاني، أبو عبد الله ابن ميرزا. (د. ط)، (د. م)، الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، (د. ت).
- التفسير الحديث. دروزة، محمد عزة. ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1421هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. (د. ط)، بيروت: دار الفكر، 1405هـ.
- الحضارات السامية القديمة. موسكاتي سبتينو. ترجمة: السيد يعقوب. (د. ط)، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1997م.

- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه. عباس العقاد. ط1، القاهرة: المؤتمر الإسلامي، 1376هـ 1957م.
- دراسات في تاريخ العرب، خالد العسيلي، (د. ط)، القاهرة، (د. ن)، (د. ت).
- الدفاع عن القرآن. عبد الرحمن بدوي. (د. ط)، القاهرة: الدار العالمية للكتب والنشر، 1999م.
- السيرة النبوية. ابن هشام أبو محمد عبد الملك. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. (د. ط)، القاهرة: دار ابن كثير، (د. ت).
- صحيح مختصر تفسير ابن كثير. ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر. ط3، القاهرة: دار السلام، 2003م.
- العرب في سوريا قبل الإسلام. رينيه ديسو. ترجمة: عبد الحميد الدواخلي. (د. ط)، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1959م.
- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية. جرجي زيدان. ط3، القاهرة: الهلال، (د. ت).
- الفهرست. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن سحاق. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ 1996م.
- قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية. خليل عبد الكريم. (د. ط)، القاهرة: دارسينا للنشر، 1998م.
- لسان العرب. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد. (د. ط)، القاهرة: دار المعارف، (د. ت).
- المؤلفات الكاملة. جرجي زيدان، ط2، بيروت: دار الجيل، 1415هـ، 1994م.
- مجموع فتاوى ابن تيمية. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي. (د. ط)، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (د. ت).
- محمد في مكة. مونتجمري وات. ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، حسين عيسى. (د. ط)، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 2002م.
- معالم التنزيل. البغوي، الحسين بن مسعود. تحقيق: خالد العك، مروان سوار. ط2، بيروت: دار المعرفة، 1407هـ، 1987م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. جواد علي. ط3، بغداد: جامعة بغداد، (د. ت).

- المقدس عند عرب قبل الإسلام (رسالة ماجستير) عبد الناصر سلام، (كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2005)
- المقدس والمدنس. ميرسيا إليادي. ترجمة: عبد الهادي عباس. ط1، دمشق: دار دمشق، 1988م.
- مقدمتان في علوم القرآن. آرثر جيفري. مراجعة: عبد الله اسماعيل الصاوي. ط2، مصر: مكتبة الخانجي، 1954م.
- الملل والنحل. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور. ط6، بيروت: دار المعرفة، 1417هـ، 1997م.
- موسوعة الحديث الشريف الالكترونية، الكتب الستة.
- موقف القرآن من المشركين. محمد محمد عبد الله إسماعيل. رسالة ماجستير، القاهرة: قسم الشريعة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1957م.
- النبي إبراهيم والتاريخ المجهول. سيد محمود القمني. ط1، القاهرة: مدبولي الصغير، 1416هـ 1996م.
- هداية المريد لتحصيل معاني كتاب التوحيد المفيد. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (د. ط)، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، 1414هـ، 1993م.
- الوثنية والأديان. مصطفي عبده. ط2، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1999م.